

لقد كنت أحمل معي رسالة خطية من سعادة وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد موجهة إلى السناتور عباس مسعودي يدعوه فيها لزيارة الكويت ، وقد علمت أنه سافر إلى أوروبا فسلمت الرسالة إلى السفير الشيخ ناصر ليسلمها إليه حال عودته ، وهكذا انتهت مهمتي في هذه السفرة .

مقابلة السفير البريطاني في الكويت

اتصل بي هاتفياً السفير البريطاني في الكويت المستر صموئيل فول وذلك قبل انتهاء الدوام الرسمي بقليل من يوم الأربعاء ٩ / ٤ / ١٩٦٩ م ، وذلك بعد عودتي من طهران مباشرة وقال : إذا بالإمكان مقابلتي في ذلك الوقت ، فقلت له : إن الدوام الرسمي على وشك الانتهاء الآن ، وبما أنني في ذلك المساء مدعو عندهم في السفارة بمناسبة حفل توديع القائم بأعمال السفارة المستر جون جراهام الذي انتهت مهمته في الكويت فإني على استعداد للمجيء للسفارة قبل الوقت المحدد للحفلة الذي هو الساعة السابعة مساء ، وقلت له : إنني مستعد للحضور الساعة السادسة ، قال : وهو كذلك . وفي الوقت المحدد ذهبت للسفارة فوجدت السفير بانتظاري فذهبنا سوياً إلى مجلس خاص ، وبدأ حديثه بأن سألني عن حصيلة سفرتي إلى طهران ، فأخبرته عن السفارة باختصار ، ثم قال : لقد وصلتني هذا اليوم برقية مستعجلة من لندن تتضمن مسودة مشروع يحدد مهمة مندوب الأمم المتحدة في حالة زيارته للبحرين وأعطاني نسخة من المسودة ، وترجمتها على وجه التقريب كالآتي :

«لما كانت هناك مشكلة ناتجة عن اختلاف آراء الفرقاء المعنيين حول وضع البحرين وضرورة وضع حل لهذه المشكلة فإنه يطلب إلى السكرتير العام للأمم المتحدة إيفاد ممثل عنه للتأكد من رغبات الشعب البحريني بالنسبة لوضع البحرين مستقبلاً The future Status of Bahrain وذلك عن طريق القيام بالاتفاق مع الأطراف المعنية بإجراء مشاورات مع المنظمات والجمعيات واللجان والمجالس أو أي هيئات أخرى أو

أفراد يمثلون العناصر المختلفة للرأي العام في البحرين أو يكونون معنيين برفاهية شعب البحرين» .

وبعد أن قرأت النص الذي كان مكتوباً باللغة الإنكليزية قلت له : وما رأي الجانب البحريني في هذا النص؟ فقال : إنهم ترددوا في إبداء الرأي حوله ومنتظرين ذهابك إليهم في أقرب فرصة ممكنة ، فقلت له : إني ذاهب إلى البحرين مساء الجمعة ، وسألته عن الجهة التي وضعت هذا النص ، فأجاب لقد تم وضعه في لندن بعد التشاور مع السفير في طهران ، فقلت له : وهل الجانب الإيراني على علم بهذا؟ فأجاب بالنفي ، ثم سألتني عن رأيي في مسودة المشروع ، فأجبت له لقد كان عندنا اجتماع طويل في مكتب الوزير هذا الصباح حضره وكيل الوزارة والدكتور فؤاد حمزة ، واستناداً إلى ما دار في الاجتماع من أحاديث ومناقشات مطولة حول الموضوع الخاص بالمشكلة أستطيع القول إن هذا المشروع سيكون مرفوضاً من الجانب الكويتي لأنه يحتوي على أمور غامضة وفيها توريط لنا وللجانب البحريني ونحن لانريد أن نجر البحرين إلى مثل هذه المزالق ، وإنكم لاتريدون ذلك أيضاً ، فأجاب : إن هذا صحيح ونحن أيضاً رأينا بعض الغموض في بعض بنود المشروع ، وأشار إلى كلمة وضع البحرين ، ومستقبل وضع البحرين وكلمة الأفراد ، ثم قال على أي حال سأتصل بلندن وسأخبرهم بما دار بيننا ، وبعد هذا الحديث انتقلنا إلى الحفلة حوالي الساعة السابعة .

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ١١ / ٤ / ١٩٦٩م اتصل بي السفير هاتفياً في منزلي وقال إنه يرغب في مقابلتي قبل سفري إلى البحرين وسألني عن موعد سفري ، فقلت له : الساعة التاسعة مساء ، وبدأ في الاعتذار عما سماه بالإزعاج بمثل هذا اليوم الذي هو عطلة ، فأبدت ترحيبي بمجيئه وسألته إذا كان يود تناول الغداء معي ، فأبدى سروره لذلك ، وفي الساعة الواحدة وصل السفير إلى البيت وجلسنا نتحدث قبل الغداء ، فقال إنه أبرق إلى لندن مخبراً وزارة الخارجية بما دار بيننا من

حديث مساء الأربعاء ٩/ ٤/ ١٩٦٩ م ، وأنه تلقى على أثر ذلك برقية يطلبون منه فيها مقابلي وإخباري بالآتي :

إن الجانب البريطاني يريد أن يستمر الحوار مع الإيرانيين وأنهم يخشون من أن تقطع إيران الحوار إذا تصلب الجانب البحريني ، كذلك فإنهم حريصون على ألا تنفرد البحرين بأي جواب أو قرار دون علمهم ، كما أن الجانب البريطاني يرى عدم التوصل إلى حل لهذه المشكلة سيخلق جواً من عدم الاستقرار في البحرين وفي المنطقة ، وعليه فلا بد أن تقبل البحرين بمشروع يرضى عنه الجانب الإيراني ولو كان في هذا المشروع شيء من المجازفة - واستعمل كلمة Risk - طالما أن الجانب البحريني مطمئن إلى أن الشعب سيكون إلى جانبه .

فأجبتة قائلاً : أود أن تتأكد يا مستر فول أننا لم نفكر بأن ننصح البحرين بأن تتخذ أي قرار دون التشاور معكم وهذا شيء لا داعي للإشارة إليه ، ثم إننا نعتقد أن المسؤولين في البحرين على درجة من الوعي والإدراك بحيث يرون أن التشاور معكم في هذه المرحلة أمر بديهي ومنطقي وذلك لما هو قائم بينهم وبينكم منذ عشرات السنين ولاسيما في هذه الظروف بالذات ، أما من جانبنا فنحن لا نريد أن نتورط في جر البحرين إلى المزالق الخطرة ، وأنتم تعرفون قبل غيركم أن البحرين بلد عربي منذ أقدم العصور وأن المطالب الإيرانية لا تصمد أمام المفاهيم والقوانين الدولية في أيامنا هذه ، وإذا كانت إيران تريد حل القضية بما يحفظ ماء الوجه فما عليها إلا أن تساعد على تسهيل المهمة لاتعقيدها ، وذلك بوضع شروط فيها مساس بكيان البحرين كبلد عربي له نظامه ومقوماته الخاصة ، كذلك أرجو أن يكون واضحاً لديكم أنه مهما تكن الظروف الحاضرة سيئة بالنسبة للأمة العربية ، فإن هناك رأي عام عربي لا يمكن تجاهله أو إغفاله وأن قضية البحرين تهتم هذه الشعوب العربية ، فلا بد أن تؤخذ كل هذا الأمور بعين الاعتبار ، ثم أخبرته بأن صاحب السمو اطلع على المشروع وكذلك سعادة

وزير الخارجية ، وأنهما أبديا عدم ارتياحهما من الغموض الذي يكتنفه ، ثم سألتني : هل لديكم بديل عنه؟ قلت : نعم لدينا بديل وسأعرضه على الجانب البحريني غداً ، وأرجو أن تعذرني من الدخول في تفاصيله وهو يدور حول موضوع ما نحن بصدده الآن وستعلمون عنه من المسؤولين في البحرين كما جرت العادة ، ثم نهضنا لتناول طعام الغداء .

السفري إلى البحرين ما بين ١١ و١٢ أبريل ١٩٦٩م

وكما كان مقرراً فقد سافرت إلى البحرين مساء يوم الجمعة ١١/٤/١٩٦٩م ، وفي صباح اليوم التالي ذهبت مع الشيخ محمد بن مبارك إلى مجلس سمو الشيخ عيسى الخاص حيث وصلنا في الساعة ٩, ٤٠ فوجدنا سموه ينتظر وصولنا ، وكان معه الشيخ خليفة بن سلمان ، وكنت أحمل معي بعض التقارير التي سلمتها للشيخ محمد وهي تتعلق بزيارتي ل طهران ، ثم مقابلة السفير البريطاني في الكويت وما دار في هذه الاجتماعات من مواضيع . وقد أبدى كل من سمو الشيخ عيسى والشيخ خليفة تخوفهما من المشروع المقترح من قبل البريطانيين ، وقال سمو الشيخ عيسى إنه أخبر البريطانيين بعدم ارتياحه وتخوفه من هذا المشروع وكذلك أخبرهم بأنه كان حريصاً على مقابلي لكي يعرف وجهة نظر الكويت ، فذكرت ل سمو الشيخ عيسى إنه عندما سلمني السفير البريطاني نسخة من مسودة المشروع اطلعت صاحب السمو الشيخ صباح السالم على المسودة فأبدى شكّه وتخوفه منها كما أن الشيخ صباح الأحمد أظهر نفس الشعور عندما اطلع على مسودة المشروع ، وقد أخبرت سمو الشيخ عيسى كذلك بأني أحمل صورة مشروع أعدّه الدكتور فؤاد حمزة بتكليف من الشيخ صباح الأحمد ، وقلت : إن الكويت تعتبر البحرين بلداً له كيانه المستقل منذ حوالي مئتي عام ولا تريده أن ينزلق في مغامرة خطيرة تفقده ميزاته التي اكتسبها على مر الأجيال ، ثم تكلم الشيخ خليفة وقال : إننا فوجئنا بهذا المشروع الذي يجعل من

كيان البحرين موضع شك بالنسبة لكل من يطلع على تفاصيله ، وإنما عند مقابلتنا للمستر روبرتس وزير الدولة للشؤون الخارجية في لندن بعد انتهائنا من اجتماعات جنيف أيدنا في موقفنا وفي التمسك بالاقترح الذي تقدمت به الكويت في تلك الاجتماعات . ثم تكلم الشيخ محمد فقال إن الإنجليز كانوا يلحون عليهم خلال اليومين الماضيين من أجل إبداء الرأي حول المشروع وأنهم لم يكونوا مرتاحين من تأخير جوابنا وقد زاد هذا من شكوكنا واستغرابنا ، ثم دار حديث عام بين الحاضرين ، وكانت علامات الحيرة تبدو على سمو الشيخ عيسى ، ثم تقرر أن نذهب إلى مكتب الشيخ خليفة حوالي الساعة الثانية عشرة ، وذهبت مع الشيخ محمد في الوقت المحدد فوجدنا المعتمد البريطاني هنالك المستر ألك ستيرلنج فسلمنا عليه ثم دار الحديث حول موضوع سفرتي الأخيرة إلى طهران ومقابلتني لأفشار ثم السفير البريطاني ، وقلت له : لا بد أن أخبار هذه السفارة وصلت إليكم ، فأجاب بشيء من التحفظ بالإيجاب ، ثم انتقلنا إلى موضوع المشروع فقلت له : إن الكويت ترى في المشروع بذور التشكك في كيان البحرين الذي هو الآن حقيقة قائمة ، وإذا كان الإيرانيون يريدون حقاً حل المشكلة فإن هذا المشروع سيزيد المشكلة تعقيداً لاسيما فيما يتعلق في مهمة المبعوث الدولي ، فردّ عليّ قائلاً إنه يعترف بأن في المشروع شيئاً من الغموض وبالإمكان إجراء بعض التعديلات عليه ، ثم قال : إن سبب استعجالنا في طرح هذا المشروع هو الخوف من أن إيران ستتقدم بمشروع من عندها ، ونحن لا نريد أن يحدث ذلك ، فقلت له : إن أفشار قال لي عند زيارتي الأخيرة له في طهران إن إيران لا يهتمها أن تبقى القضية معلقة إلى الأبد حتى يتفق الطرفان على حل مرض ، فردّ عليّ قائلاً : إن سفيرهم في طهران سيقابل أفشار هذا اليوم .

وقد ذكرت له ما دار بيني وبين سفيرهم في الكويت من أحاديث حول الموضوع وما ذكره من أن بريطانيا حريصة على ألا تتخذ البحرين أي إجراء دون موافقة بريطانيا

في هذا المجال ، وقلت له إنني أخبرت السفير بأننا منذ البداية نرى أن حل هذه المشكلة لا يتم إلا بتعاون جميع الأطراف المعنية ولاسيما بين البحرين وبريطانيا ، وذلك لما هو قائم بين البلدين من تفاهم وتعاون منذ أمد بعيد . ومن أجل توضيح هذه النقطة لا بد من العودة إلى ما قاله لي أفسار في طهران إنه يريد أن يأتي جواب البحرين عن طريق الكويت ، والذي أشرت إليه في كلامي مع السفير البريطاني في طهران عندما قال لي إنه سيتصل بالإيرانيين عندما يعرف وجهة نظر البحرين ، ولهذا فإن ما أثاره السفير البريطاني عند مقابلي له في الكويت له علاقة بهذا الموضوع ، ومن الواضح من خلال سرد الحوادث أن الكويت كانت تقوم بدور الوسيط ولم يفكر أحد من المسؤولين بتجاوز هذه المهمة ، وكذلك فإن الكويت ترى أن بريطانيا - باعتبارها الدولة الحامية للبحرين بموجب الانفاقات القائمة - لها دورها فيما يتعلق ببروتوكولات الحماية وما يدور في أروقة الأمم المتحدة ، كما أنه لا بد من الإشارة هنا إلى أن اللورد كرادون مندوب بريطانيا الدائم في الأمم المتحدة لعب أدواراً هامة سواء باتصالاته المستمرة بالأمين العام المستر يوثانت أو بمساعدة الدكتور رالف بنج مما سهل الكثير من العقبات في سبيل الحل المناسب .

وقبل أن ينتهي الاجتماع مع المعتمد قلت له إننا أبدينا وجهة نظرنا لإخواننا في البحرين ولا بد أنهم سيطلعونكم عليها ، ثم قلت له : إن إيران تحسب ردود الفعل عند شعبها ونحن أيضاً من جانبنا نحسب ردود الفعل عند الجانب العربي ، ولا يمكن أن نتجاهل كيان البحرين القائم أو تعريضه للخطر بسبب قبول حلول غامضة ، فنحن أوضحنا رأينا هذا للبحرين .

وبعد هذا الحديث خرجنا من الاجتماع الشيخ محمد وأنا وظل المعتمد عند الشيخ خليفة ، كما حضر جزء من الاجتماع السيد محمود العلوي مدير المالية ، ثم اتفقت مع الشيخ محمد على أنه في حالة توصلهم على ضوء ما جرى من اتصالات

إلى مشروع جديد فإنه - أي الشيخ محمد - سيتوجه إلى الكويت لعرض المشروع على المسؤولين وأخذ رأيهم فيه .

وصول السناتور عباس مسعودي إلى الكويت

لقد أشرت سابقاً إلى أنني في زيارتي السابقة إلى طهران كنت أحمل رسالة من الشيخ صباح الأحمد يدعو فيها السيد عباس مسعودي نائب رئيس مجلس الشيوخ الإيراني وصاحب مؤسسة إطلاعات للطباعة والنشر المشهورة التي تصدر عنها عدة صحف بلغات عديدة ، ومشهور عن السيد مسعودي أنه يمثل الأطراف المعتدلة ومن أنصار التفاهم مع العرب ، كما أن له صداقة شخصية مع الشاه وهو مطلع على ما كان يجري من مفاوضات في قضية البحرين .

وكان وصوله إلى الكويت بعد ظهر يوم الأحد ٤ / ٥ / ١٩٦٩ م ، وكنا في استقباله في المطار أنا والشيخ ناصر ، فأخذناه إلى فندق الهلتون حيث نزل في أحد الأجنحة وأخبرناه بأننا سنأتي إليه بعد أن يأخذ شيئاً من الراحة ، وفي حوالي الساعة الخامسة والنصف من ذلك اليوم قمنا بالزيارة أنا والشيخ ناصر للسيد مسعودي فرحب بنا وجلسنا نتحدث ، فقال إنه جاء إلى الكويت تلبية للدعوة التي وجهها إليه سعادة وزير الخارجية وأنه مغتبط بهذه الزيارة التي ستمكنه من التعرف على وجهات النظر الكويتية في أمور هامة ، كما ذكر بأن جلالة الشاه كلفه بهذه المهمة ، ثم سأل : أين وصلت قضية البحرين؟ فقلنا له : لا بد أنك تعرف باجتماعات جنيف الأخيرة ، ثم جاء ذكر سفرتي الأخيرة إلى طهران فأبدى أسفه لأنه لم يكن موجوداً هناك في ذلك الوقت ، ثم ذكرت له أنني أخبرت السيد أفشار بأن الجانب البحريني موافق على مجيء مبعوث من الأمم المتحدة لكي يتقصى الحقائق عن طريق اتصالاته بالمجالس والمؤسسات الموجودة هناك ، ولكن السيد أفشار لم يكن مقتنعاً تماماً بمثل هذا الإجراء ، لكننا نرى أن أي تجاوز لهذه المجالس من قبل مبعوث الأمم المتحدة سيخلق جواً من البلبلة في الأفكار ويفتح الباب واسعاً أمام عناصر الفوضى والشغب والتخريب ،

وهذا ما يخشاه المسؤولون في البحرين وما نخشاه نحن أيضاً . كذلك فإن مثل هذه الفوضى لو حدثت لا سمح الله فستعم المنطقة بأسرها وستلحق أضراراً بالغة بالجاليات الإيرانية هناك والتي هي الآن تتمتع بالرعاية والطمأنينة التي تعم الجميع .

وفي سياق حديثه بدا وكأنه متفهم لهذه الأمور ، ثم تطرق إلى موضوع الجزر ، فقال : إننا نريد حل هذه الأمور جملة واحدة وهناك جماعة ومنهم أفسار يريدون حلاً سريعاً لموضوع الجزر ، ثم قال إننا لانطمح إلى كسب مادي عندما نطالب بهذه الجزر ، ولكننا نريد إقامة قواعد عسكرية عليها وأن جزيرة أبو موسى أهم عندنا من جزيرة طنّب ، ثم أضاف قائلاً : إن الشاه يريد كسباً معنوياً في ذلك يعوض عن البحرين ، ثم قال : ليتكم تساعدوننا في ذلك .

قلنا له : أولاً نريد أن نوضح لك أن موضوع البحرين بالنسبة لنا وبالنسبة للبحرينيين ليست له أي علاقة بموضوع الجزر ، كذلك فإن ما أشرت إليه من إنشاء قواعد عسكرية ليست له تلك القيمة الإستراتيجية كما كان الحال في السابق ، وهذه الحقائق أصبحت مفهومة نظراً للتطور الذي حدث على مختلف أسلحة القتال . واستمع إلى حديثنا هذا ولم يعلق عليه ، إنما أردف قائلاً : إن باستطاعة الإنجليز أن يساعدونا في موضوع هذه الجزر بمجرد أن يقولوا إن هذه الجزر ليست ملكاً لكم .

قلنا له : وهل عندكم إثباتات تدل على أن هذه الجزر كانت خاضعة لإيران؟ قال : نعم عندنا وثائق قديمة تثبت ذلك ، وهنا تذكرت ما قاله لنا السفير البريطاني في طهران من أن حجة إيران في المطالبة بهذه الجزر تكمن في أن القواسم كانوا يدينون وقتنا من الأوقات بالولاء للإيرانيين^(١) ، وكان جوابنا له هو أن الذي نعرفه أن هذه الجزر كانت تخضع لأولئك الذين يملكون السيطرة على البحار وأن سكانها الآن من

(١) والمؤرخون الأجانب الذين تناولوا شؤون البحرين في كتاباتهم كانوا يذكرون أن الأساطيل العربية - وبخاصة القواسم والعُمانيون - هي التي كانت تجوب مياه الخليج وتفرض سيطرتها على الشاطئ الغربي العربي ، وقسم من الشاطئ الشرقي الفارسي وجزره ، ومن هؤلاء الرحالة كارستن نيبور الذي مرّ بالخليج ورسم خارطة له عام ١٧٦٥م وذكر أسماء القبائل العربية التي تحتل الساحل الإيراني .

العرب ، فأجاب بأن هؤلاء العرب ذهبوا إلى هناك عندما بدأت المطالبة الإيرانية ، ثم قال : على أي حال إننا نريد أن نتفاهم بطريقة من الطرق مع أولئك الحكام ونحن لسنا وراء المنافع المادية ومستعدون للتعهد بذلك .

قلنا له : على أي حال أرجو أن تعذروا ظروف أولئك الحكام بالنسبة لشعوبهم وبالنسبة للشعوب العربية وحكوماتها ، قال : إننا ندرك هذه الأمور وعندنا مشكلة البحرين التي يعتبرها الشعب الإيراني جزءاً من إيران ، ثم قال : إنني أنوي أن أقوم بجولة في بعض الإمارات ، وإني أتمنى أن أزور البحرين وأن تتاح لي فرصة مقابلة الشيخ عيسى ، وأود أن أقابل الشيخ خليفة بن سلمان أو الشيخ محمد بن مبارك عندكم هنا إذا تعذر ذهابي للبحرين ، قلنا له : هذه فكرة ممتازة ونرجو أن تعرض هذه الفكرة على سمو الأمير وسعادة وزير الخارجية عند مقابلتك لهما غداً ، فاستحسن الرأي وقال : أرجو أن يكون هذا في منتهى السرية حتى إنني لن أخبر سفيرنا عن هذه الرحلة إذا تمت ، قلنا له : وهو كذلك .

وقبل انتهاء هذه المقابلة قال : أود أن أذكر لكم شيئاً ضايقني حيث أخبرني سفيرنا بأن جريدة الرأي العام كتبت مقالاً قبل يومين أبدت فيه وجهة نظر العراق ، قلنا له : أولاً نود أن نعرف أن الصحافة عندنا حرة في حدود القوانين القائمة وليست للحكومة أي رقابة عليها ، وأن الأزمة القائمة بينكم وبين العراق تسبب لنا الكثير من الحرج ، فأنتم أصدقاء لنا والعراقيون إخواننا تربطنا بهم رابطة الإخوة والحوار ، وهذا ما حدا بسمو الأمير أن يرسل رئيس ديوانه إلى طهران ووزير الداخلية والدفاع إلى بغداد ، وعليه فإننا نأمل أن يزول سوء التفاهم القائم الآن في أسرع وقت ، وعند توديعه قال : أود أن أواصل حديثي معكم غداً أيضاً ، قلنا : وهو كذلك ، فاتفقنا على زيارته في الساعة الخامسة بعد الظهر وأن زيارته لسمو الأمير ستكون في الساعة التاسعة صباحاً . وفي صباح اليوم الثاني ، وهو الموعد المحدد الذي تقرر فيه مقابلة السيد مسعودي

لسمو الأمير ، ذهبت إلى الديوان حوالي الساعة الثامنة وقدمت إلى سمو الأمير تقريراً مكتوباً عما دار من حديث بيننا وبين السيد مسعودي وذلك لكي يكون سموه على بينة مما يجول بخاطر السيد مسعودي من مواضيع ووجهة نظره فيها .

وفي التاسعة والنصف حضر السيد مسعودي إلى قصر السيف وبصحبه الشيخ ناصر ، فذكر السيد مسعودي لسمو الأمير رغبته في زيارة البحرين ، فرحب سمو الأمير بهذه الفكرة وقال له : إن وزير الخارجية سيعمل اللازم ، ثم تطرق إلى موضوع الجزر وكرر بعض الكلام الذي قاله لنا عند زيارتنا له ، فكان رد سموه إنه يجب فصل موضوع الجزر عن موضوع البحرين ، ثم أكد له سموه أن مطالبة إيران بالجزر ستسيء إلى علاقة إيران بالدول العربية ، وإذا كانت إيران تفكر في قاعدة عسكرية فعندها قاعدة بندر عباس التي تسيطر على مدخل الخليج ، ثم ذكر له سمو الأمير أن هذا العصر هو عصر الصواريخ .

دامت المقابلة مع سمو الأمير حوالي ساعة ، ذهب بعدها السيد مسعودي إلى وزارة الخارجية حيث قابل الشيخ صباح الأحمد وتداول معه في مواضيع الساعة ومنها رغبته في زيارة البحرين ، فشجعه الشيخ صباح على ذلك ووعدته بترتيب السفارة ، وقد أبدى السيد مسعودي رغبته في أن أكون معه خلال هذه السفارة ، ولكن الشيخ صباح نصحه بأن يسافر وحده وأن طائرة خاصة ستكون تحت تصرفه .

وفي صباح الخميس ٨ / ٥ / ١٩٦٩م سافر عباس مسعودي إلى البحرين بطائرة عسكرية ، وكنا الشيخ ناصر وأنا الوحيدين الذين كنا في المطار لوداعه باستثناء بعض ضباط سلاح الطيران الكويتي ، وتمت الرحلة في غاية السرية وعاد السيد مسعودي يوم السبت بعد أن قضى يومين في البحرين ، وقد أخبرنا عن اغتباطه وارتياحه لهذه السفارة وأنه كان مسروراً بصورة خاصة من مقابلة سمو الشيخ عيسى الذي أقام له حفلة عشاء خاصة دعا إليها نخبة من الشخصيات البحرينية وأنه سر كثيراً بلقائه بتلك النخبة من رجالات البحرين ، فسرنا هذا الخبر كثيراً وتفاءلنا به خيراً .

وفي يوم الإثنين ١٢ / ٥ / ١٩٦٩م غادر مسعودي الكويت متوجهاً إلى قطر وأبو ظبي ودبي .

وفي يوم الإثنين ١٩ / ٥ / ١٩٦٩م وصل إلى الكويت الشيخ خليفة بن سلمان والشيخ محمد بن مبارك بعد أن قاما بزيارة للمملكة العربية السعودية ومقابلة المسؤولين هناك ، وعلى رأسهم جلالة الملك فيصل حيث جرى بحث النزاع مع إيران والحلول المطروحة للبحث والتي تمت الإشارة إليها ، كما تم بحث هذه الأمور مع المسؤولين في الكويت وعلى رأسهم سمو الأمير ثم عادا إلى البحرين في اليوم التالي .

لقاء مع السفير البريطاني في الكويت

في صباح يوم الأربعاء ٢١ / ٥ / ١٩٦٩م اتصل بي السفير البريطاني المستر فول وأفاد بأنه يريد مقابلي على وجه السرعة لظروف طارئة وهامة فرحبت بقدمه ، وعلى الفور حضر هو ومستشار السفارة ، ومن البديهي أن الحديث كان يدور حول موضوع البحرين وهو حديث الساعة بالنسبة لنا ولهم في ذلك الوقت ، وتناول البحث الخلاف بين وجهتي نظر إيران والبحرين حول تحديد مهمة المبعوث الدولي ، فيإيران تريد أن تكون المهمة في حدود المصطلح أو الفقرة : To Ascertain the Views of the Bahrainis «التأكد من وجهة نظر البحرينيين» ، بينما وجهة نظر البحرين التي هي وجهة نظر الكويت من البداية تجنب قبول هذا المبدأ الذي يبطن الشك في كيان البحرين وفي ولاء السكان لبلدهم ولحكومتهم ، والاستعاضة عنها بالفقرة : To Ascertain the Facts أي «التأكد من الحقائق في البحرين» ، وهذا لا يمس سيادة أو ولاء الشعب وليست له ردود أو انتكاسات فيما إذا تعثرت المفاوضات ، هذه كانت وجهة نظر الكويت والتي تبنتها البحرين ، وقد استمر الأخذ والرد بين السفير والمستشار وبينني ، وقال لي فيما قال : إن المستر ستوارت وزير الخارجية سيكون في طهران يوم ٢٧ / ٥ / ١٩٦٩م لحضور مؤتمر «الستو» ولا بد أنه سيقابل

الشاه وسيجري بحث موضوع البحرين ، ولهذا فنحن حريصون على التفاهم معكم ومع الجانب البحريني على صيغة جديدة لكي يتمكن وزير الخارجية من التحدث في هذا الموضوع على أساسها . قلت له : إن رأينا حول هذا الموضوع لم يتبدل عن هذه النقطة الهامة ، وأعتقد أن الإخوة البحرينيين سيكون لهم نفس الموقف الذي تم التفاهم عليه معهم وأن قبولهم التساهل في تحوير التعبيرات والمصطلحات سيعرضهم وقضيتهم لمسالك خطيرة ونحن حذرناهم من ذلك ، كما قلت له : عندما زارنا مسعودي هنا في الكويت وبحثنا معه الموضوع وجدنا عنده تفهماً لظروف البحرين ، إنما لاحظنا من أحاديثه أن إيران تريد زج موضوع الجزر مع قضية البحرين ، وهذا في نظرنا لا يجوز ، ولا يمكن أن تكون قضية الجزر موضوع مساومة ، وقد أخبرنا السناتور عباس مسعودي بذلك ، كما أن المسؤولين وعلى رأسهم صاحب السمو أكدوا له هذه الحقيقة وأصرّوا عليها .

بعدها قال السفير : إن ما نخشاه أن كلمة أو اصطلاح «التأكد من الحقائق» قد يعطي المجال لإثارة التاريخ القديم للقضية ، فأجبتة : إذا كنتم ترون ذلك فعليكم أن تفتشوا عن مصطلح آخر ، قال : ما رأيك لو قلنا To Ascertain the Present Facts «التأكد من الحقائق الحاضرة»؟ فقلت له : هذا اصطلاح معقول ، ويمكنكم عرضه على المسؤولين في البحرين لأخذ موافقتهم ، فتم الاتفاق على ذلك وانتهى الاجتماع . وبعد خروج السفير من عندي حررت رسالة مستعجلة موجهة للشيخ محمد بن مبارك شرحت له فيها أهم ما دار في هذا الاجتماع وبعد الانتهاء من تحرير الرسالة عرضتها على الشيخ صباح الأحمد للاطلاع ، وتمت الموافقة على إرسالها بالسرعة الممكنة ، فأرسلت في اليوم نفسه .

كان يوم ٣١ / ٥ / ١٩٦٩م هو آخر يوم لي في الوزارة حيث طلبت إحالتي إلى التقاعد لأستفيد من القانون الذي وضعته الدولة لمدة سنة تنتهي في ذلك التاريخ ومن

مميزاته إضافة عشرة سنوات خدمة للخدمات الفعلية التي قضاها الموظف الذي بلغ سن الخمسين عاماً ، ومن أجل التوفيق بين رغبتني في الاستفادة من هذا القانون والاستمرار في تأدية بعض الخدمات الهامة التي كنت أقوم بها ومنها قضية البحرين وموضوع الاتحاد ، فقد تم بيني وبين الوزارة اتفاق «الجتلمان» على مواصلة تأدية هذه الخدمات التي استمرت بعد الإحالة على التقاعد ما يقارب الستين ، وبما أن فترة الصيف عادة تكون فترة ركود نسبي في أكثر المجالات بسبب قسوة الطقس وسفر بعض المسؤولين خارج البلاد لفترات طويلة ، فقد سافرت إلى أوروبا للراحة والعلاج تاركاً للوزارة مهمة استدعائي في أي وقت للحضور عند اللزوم .

وقد ظلّت الاتصالات السرية جارية بين الأطراف المعنية ، ولكن ببطء للأسباب التي أشرت إليها أعلاه ، كما أن سمو الشيخ عيسى سافر في ذلك الصيف إلى بريطانيا وأمريكا وقد قابلته عند وصوله إلى لندن يوم ١٨ / ٨ / ١٩٦٩ م .

وفي نهاية عطلة الصيف بدأ النشاط يدب من جديد علماً بأن الاتصالات السرية بين الطرفين كانت مستمرة ، وفي أوائل شهر نوفمبر تقدم الجانب البريطاني بمقترحات جديدة على ضوء الاتصالات التي تمت بين الجانب البريطاني والجانب الإيراني بعد استشارة من كانوا مهتمين بالأمر في الأمم المتحدة ، وعلى رأسهم المستر يوثانت واللورد كرادون مندوب بريطانيا في الأمم المتحدة .

لقد فاتني أن أذكر أنه في العشرين من أكتوبر رافقت الشيخ صباح الأحمد إلى أبو ظبي في مهمة تتعلق بموضوع الاتحاد بين الإمارات التسع ، حيث كان من المقرر أن يجتمع الحكام في يوم الثلاثاء الموافق ٢١ من أكتوبر ، وقد قمنا بلقاءات مهمة لاسيما مع الشيخ زايد والشيخ عيسى والشيخ محمد بن مبارك وكانت ذات شقين ، الأول يتعلق بموضوع الاتحاد ، والثاني يتعلق بموضوع النزاع مع إيران ، وكانت الدلائل تشير إلى قرب التوصل إلى حل مشرف يحفظ للبحرين كيانها واستقلالها ، وقد انعكست هذه الأمور على موقف البحرين في اجتماعات الاتحاد المقترح .

ولقد عدنا إلى الكويت يوم الأربعاء ٢٢ من أكتوبر بعد أن سمعنا بتوتر العلاقات بين الفدائيين والجيش اللبناني مما جعل الشيخ صباح الأحمد يتوجه إلى بيروت يوم الخميس ٢٣/١٠/١٩٦٩ م .

وفي يوم الأحد ٢ من نوفمبر وصل إلى الكويت الشيخ محمد بن مبارك للبحث مع المسؤولين في أمور تتعلق بالاتحاد بين الإمارات حيث كان من المقرر أن يعقد اجتماع للأمرء في ذلك الأسبوع ، ثم تقرر فيما بعد تأجيل الاجتماع إلى موعد آخر ، وقد انتهر الشيخ محمد فرصة وجوده في الكويت فجرى البحث في الموضوع المهم بالنسبة للبحرين وهو إنهاء النزاع مع إيران ، وكان جو التفاؤل يسود المحادثات .

وخلال الأسبوع الثاني من الشهر وصلت إلى الشيخ صباح الأحمد رسالة من الشيخ محمد بن مبارك ، وكانت الرسالة المشار إليها مؤرخة في ١٣ من نوفمبر ١٩٦٩ م يخبره فيها باستلام نسخة جديدة من المقترحات قدمتها السلطات البريطانية لهم ، وهو يتوقع أن تكون السفارة البريطانية في الكويت قد قدمت إلى وزارة الخارجية نسخة منها ، كما يرجو في رسالته أن يبادر المسؤولون في الكويت إلى دراسة تلك المقترحات الجديدة ، كما اقترح الشيخ محمد أن أتوجه إلى البحرين في أقرب فرصة ممكنة حاملاً معي وجهة نظر الكويت حول هذه المقترحات .

وفي هذا الوقت تسلمت وزارة الخارجية نسخة من المذكرة المشار إليها من السفارة البريطانية في الكويت وباشرت بدراستها ، والمشروع أو المذكرة المشار إليها تم الاتفاق عليها في هيئة الأمم المتحدة بين الأمين العام المستر يوثانت ومساعديه وكل من ممثلي بريطانيا وإيران ، وأن صورة منها عرضت على السيد أفشار رئيس الوفد الإيراني المفاوض والذي أصبح سفيراً لبلاده في لندن وأن السيد أفشار وافق عليها .

وخلاصة هذه المقترحات هي أن الأمين العام للأمم المتحدة عند موافقة الأطراف المعنية سيرسل أحد مساعديه إلى البحرين للاطلاع على الوضع القائم في البحرين عن

كتب ، وأن يكون لهذا الممثل حق الاتصال بمن يشاء في البحرين سواء من مؤسسات أو أفراد وذلك بقصد التحقق والتأكد من رغبات شعب البحرين بشأن الادعاءات الإيرانية بالبحرين ، وأن جميع الأطراف المعنية ستكون ملتزمة بما سيقدمه ممثل الأمين العام للأمم المتحدة من تقارير عن نتائج زيارته للبحرين علماً بأن في البحرين أكثر من سبعين نادياً في شتى النواحي الرياضية والثقافية عدا المؤسسات المالية والاجتماعية . كما تم الاتفاق على خطة عمل للمبعوث الدولي الذي سيزور البحرين .

وبعد دراسة مستفيضة للمذكرة في وزارة خارجية الكويت تقرر سفري إلى البحرين يوم الخميس الموافق ٢٠ / ١١ / ١٩٦٩م حاملاً بعض الاستفسارات والملاحظات حول المذكرة ، وحال وصولي إلى مطار البحرين توجهت فوراً إلى دار الحكومة والتقيت هناك بالشيخ محمد بن مبارك والدكتور حسين البحارنة وذهبنا سوياً إلى مكتب الشيخ خليفة بن سلمان وجرى الحديث حول المشروع بحضور الشيخ خليفة ، وقد ذكرت للحاضرين أن الكويت تريد أن تستوضح أمرين مهمين ، الأول الضمانات التي ستكون إيران بموجبها ملتزمة بما سيقدره مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة بعد انتهاء مهمته في البحرين ، فلو فرضنا أن إيران رفضت الانصياع لقرار المبعوث وطعنت في الأسلوب الذي اتبعه للوصول إلى معرفة وجهة نظر شعب البحرين ، وعند ذلك ستبقى مشكلة البحرين معلقة ، وقد يكون هذا الموقف في غير صالح البحرين في المدى البعيد لاسيما إذا قررت البحرين التقدم بطلب للانضمام للأمم المتحدة ، كما أنه سيضعف موقفها بالنسبة للاتحاد المقترح ، أما النقطة الثانية التي أثيرتها في هذه الجلسة فهي هل تنوي البحرين اطلاع بعض الدول العربية على ما تم التوصل إليه حتى الآن لاسيما أن الأمور وصلت إلى مرحلتها النهائية؟

وهنا رأى الحضور استدعاء المعتمد البريطاني للاستشارة برأيه حول هذه المواضيع الحساسة ، وما هي الإلحظات حتى حضر المستر ألك ستيرلنج المعتمد البريطاني وتمت

مناقشة المشروع معه فقرة فقرة ، وقد أخبر المستر ستيرلنج الحاضرين بأن بريطانيا مقتنعة بحسن نية الإيرانيين لاسيما أن الشاه شخصياً يريد إنهاء النزاع بالأسلوب الذي تم الاتفاق عليه في أروقة الأمم المتحدة ، كما أن الأمين العام للأمم المتحدة لن يرسل مبعوثه قبل أخذ الموافقة الخطية من الأطراف المعنية ، والتزامها بقبول النتائج التي سيتوصل إليها المبعوث .

أما فيما يتعلق باتصالات البحرين بالدول العربية فإن المعتمد البريطاني من رأيه أن يتم ذلك بعد الاتفاق على كل النقاط الإجرائية وطريقة العمل ، لاسيما أن الكويت والسعودية على علم واطلاع بمجريات الأمور منذ بدايتها وتبقى هناك بعض الدول التي يهيم البحرين اطلاعها على الأمور ، وقد ذكر العراق ومصر كمثال ، ولكن الشيخ محمد أبدي بعض التحفظ ، وقد تقرر ترك الأمر للشيخ محمد للتصرف وانتهى الاجتماع في حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف .

وقبل الانصراف أخبرت الشيخ محمداً بأني أحمل رسالة من الشيخ سعد العبدالله وزير الدفاع والداخلية إلى سمو الشيخ عيسى ، فأخبرني الشيخ محمد بأنه تم الترتيب بأن أتناول طعام الإفطار على مائدة سمو الشيخ عيسى هذا المساء حيث نعيش أيام الشهر الفضيل .

بعد ذلك جرت بيننا أحاديث عامة علمت منها أن السفير السعودي محمد منصور الرميح كان في البحرين منذ أسبوع وأنه استلم نسخة من المشروع ليقدمه إلى جلالة الملك فيصل ، كما علمت أيضاً أن السير جورج جيفري آرثر أحد كبار المسؤولين في وزارة الخارجية في لندن الذي سبق له أن كان سفيراً لبلاده في الكويت موجود حالياً في نيويورك بموجب تعليمات من حكومته تتعلق بقضية البحرين وهو بانتظار رد البحرين على المشروع .

وعندما حان وقت الإفطار توجهنا إلى الفيلا التي يقيم فيها سمو الشيخ عيسى التي تقع على ساحل البحر ، وهناك سلمت عليه ثم تناولنا طعام الإفطار وبعده سلمت رسالة الشيخ سعد المتعلقة بزيارته للبحرين ، فسر كثيراً ، ثم استأذنت الشيخ مودعاً ، وذهبت مع الشيخ محمد إلى بيته ، ثم حضر الدكتور حسين البحارنة وكان الحديث يدور على الأكثر حول المشروع الجديد وما جرى عليه من تعديلات وإيضاحات جاءت مطمئنة للجانب البحريني ، كما ذكر الشيخ محمد أنه سيتوجه إلى نيويورك قريباً ليتصل شخصياً بالجهات المعنية في الأمم المتحدة زيادة في الاطمئنان ، وعند عودته سيتألف وفد بحريني لزيارة بعض الدول العربية لإحاطتها علماً بالمشروع .

وهكذا انتهت المهمة التي جئت من أجلها وعدت إلى الكويت في اليوم الثاني لأنقل للمسؤولين ما دار في هذه الاجتماعات .

عام ١٩٧٠م عام التفاوض وبداية الحل

في ١٤ / ١٢ / ١٩٦٩م أرسل الشيخ محمد بن مبارك رسالة للشيخ صباح الأحمد يخبره فيها بأنه تقرر في موعد لاحق وصول الدكتور بنش مساعد الأمين العام المستر يوثانت إلى جنيف وذلك بقصد الاجتماع بالوفد البحريني بغية التزود بمعلومات إضافية والتعرف على وجهة نظر البحرين حيث إن القضية أصبحت في مراحلها النهائية ، وقد طلب الشيخ محمد إلى الشيخ صباح الأحمد أن أكون موجوداً في جنيف للاطلاع على سير الأمور عن كثب في الوقت الذي يتم فيه اللقاء مع الدكتور بنش .

وفي صباح يوم الثلاثاء ٣٠ / ١٢ / ١٩٦٩م اتصل الشيخ هاتفياً من البحرين بالوزارة مخبراً بأن الاجتماع مع الدكتور بنش سيكون في يوم الغد في جنيف أي في

١٩٦٩ / ١٢ / ٣١ م ، وكان هذا الخبر مفاجأة لي والظاهر أن الرغبة في السرية والتكتم من الجهات المعنية كان السبب في الدعوة المفاجئة للاجتماع ، ومن حسن الحظ فقد كانت في ذلك اليوم طائرة كويتية مسافرة إلى جنيف بعد الظهر فرتبت أموري بسرعة وسافرت على نفس الطائرة ، كما أن وفد البحرين توجه إلى جنيف عن طريق لندن ، ويضم الوفد الشيخ خليفة بن سلمان والشيخ محمد بن مبارك والدكتور حسين البحارنة ، وحال وصولي إلى جنيف اتصلت بإدارة الفندق الذي اعتاد وفد البحرين أن ينزل فيه وتركت رسالة للشيخ محمد أخبره فيها بوصولي إلى جنيف ومحل إقامتي .

وفي حوالي الساعة الواحدة والنصف من يوم الأربعاء ١٩٦٩ / ١٢ / ٣١ م اتصل بي الشيخ محمد وأخبرني عن وصولهم إلى جنيف ، فذهبت إليهم ، وهناك علمت أن السير جورج جيفري آرثر وكيل وزارة الخارجية البريطانية لشؤون الشرق الأوسط ومعه أحد مساعديه موجود معهم ، كما علمت أيضاً أن السيد كمال أدهم المستشار الخاص للملك فيصل في طريقه من باريس إلى جنيف ، كذلك علمت أن المستر وينسبير جيو جاردي المدير العام لمكتب الأمم المتحدة في جنيف ، وهو من أصل إيطالي ، قد وقع عليه الاختيار ليمثل الأمم المتحدة للقيام بالمهمة بالبحرين ، وهو شخص مشهور بالروية والاثزان ، وقد علمت أيضاً أن الجانب البحريني متخوف من بعض التحفظات التي أبدتها حكومة البحرين بل تريد أن تسمى « Authority » حيث إن إيران حسب زعمها لاتعترف بوجود الحكومة القائمة بموجب الظروف التي فرضها النزاع . غير أن الجانب البريطاني طمأن الجانب البحريني إلى أن هذه الأمور شكلية وأن البريطانيين بدورهم يرون أن الجانب البحريني إما أن يقبل التسوية المقترحة أو يرفضها ، وأن البريطانيين بدورهم يلحون على قبولها كما هي .

وفي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم اتصل بي الشيخ محمد وأخبرني بأنه تم الاجتماع المقترح مع الدكتور بنش واتفقنا على أن أزورهم في الساعة السادسة

والنصف لأطلع على تفاصيل الاجتماع ، كما أخبرني بأنه مسرور لما سمعه من الدكتور بنش والمستر وينسيير .

وفي الوقت المحدد ذهبت إلى الفندق فوجدت الإخوان متفائلين ومسرورين من جراء ذلك اللقاء وقد أخبروني أن الدكتور رالف بنش طمأنهم إلى رغبة إيران بحل المشكلة والتي أعربت إيران عنها في عدة مناسبات لا سيما اللقاء الذي تم بين الشاه والمستر يوثانت ، وأن إيران لا يمكن أن تتراجع عن موقفها من هذه الرغبة بعد أن وصلت الأمور إلى هذه المرحلة . كذلك أخبروني بأنه تبين للجانب البحريني أن الدكتور بنش والمستر وينسيير جيو جاردي - مندوب يوثانت المقترح - متفهمون جيداً لوضع البحرين التاريخي والاجتماعي وهذا ما زاد في الاطمئنان ، كذلك فهمت منهم أن الدكتور بنش عاد إلى نيويورك بعد المقابلة وأنه كان في أثناء وجوده في جنيف على اتصال مستمر بالمستر يوثانت ، ثم سألتهم عن السيد كمال أدهم ، فقالوا إنه سيصل تلك الليلة ، وبقينا في الفندق إلى الساعة الثامنة مساءً حينما وصل السير جيفري آرثر ومعه مساعده المستر أكلاوند وهو من الشخصيات التي سبق لها العمل بالخليج ، ومن حديثي مع السير جيفري علمت منه أن السيد أفشار كان مؤخراً في نيويورك من أجل القضية وأنه اجتمع بالمستر يوثانت ، وبهذه المناسبة سألت السير جيفري عن سبب مجيء بنش إلى جنيف بينما كان من المقرر سابقاً سفر وفد من البحرين إلى نيويورك ، فأجاب بأن القصد من ذلك هو الحفاظ على سرية الاتصالات حيث إن ذهاب السيد أفشار إلى نيويورك لا يلفت النظر ، أما ذهاب وفد من البحرين فلا بد أن يثير الكثير من التساؤلات خاصة من قبل الوفود العربية هناك ، كذلك سألته إن كان لدى الحكومة الإيرانية علماً بلقاء الدكتور بنش مع وفد البحرين ، فقال إن السيد أفشار له علم بذلك ثم سألته عن المرحلة التالية بعد هذا اللقاء ، فأجاب إن الحكومة البريطانية بصفتها المسؤولة عن الشؤون الخارجية لحكومة البحرين ستقدم إلى الأمين العام للأمم المتحدة

للتوسط في حل النزاع كما أن حكومة إيران ستتقدم بطلب مماثل ، وعندما يتسلم الأمين العام الطلبين يقرر رسمياً إيفاد ممثله إلى البحرين وفقاً لخطة العمل المتفق عليها ، كما قال لي : إن الأمين العام للأمم المتحدة سيدفع بياناً يشرح فيه الأمور شرط ألا يكون في البيان أي إثارة لإيران ، ولهذا لا بد من انتقاء العبارات المناسبة للبيان .

كذلك علمت من سير الأحاديث في تلك الأمسية التاريخية أن المستر وينسيبير جيو جاردي قد أخبر الوفد البحريني بأن مهمته في البحرين ستكون لمعرفة وجهة نظر الشعب البحريني من النزاع القائم ، فمثلاً لو قال أحدهم إنه بحريني عربي ولكنه غير راض عن نظام الحكم القائم فإنه سيأخذ الرأي الأول ويهمل الرأي الثاني لأنه لا يدخل في اختصاصه ومهمته . ثم تساءلت عن أنه لو حدث لسبب من الأسباب وتجاهلت إيران تقرير المندوب أو طعنت فيه ، فرد السير جيفري قائلاً : إنه يستبعد ذلك جداً ، ولو حدث فسيضر بسمعة إيران الدولية ، ولن يؤثر على كيان البحرين ، وقال : إن المخاوف الوحيدة هي حدوث اضطرابات في البحرين من بعض العناصر المخربة في أثناء وجود بعثة الأمم المتحدة ، كذلك علمت من الحديث أن الدكتور بنش قد ذكر في أثناء اجتماعه بالوفد البحريني أن المعلومات التي تجمعت لدى الأمم المتحدة وكذلك لدى المسؤولين الإيرانيين أن النتيجة ستكون لصالح البحرين وأن إيران لا يمكن أن تعترف بهذه الحقائق إلا إذا جاءت بصورة شرعية وعن طريق الأمم المتحدة .

وبعد هذا الحديث الطويل الشامل الباعث على التفاؤل ذهبنا إلى قاعة الفندق الرئيسية لتناول طعام العشاء والاحتفال باستقبال العام الجديد مع حشد كبير من الناس جاؤوا لهذه المناسبة ، وأعتقد أننا كنا في تلك المناسبة أسعدهم جميعاً .

تشكيل حكومة جديدة في البحرين

زيارة الشيخ سعد العبد الله للبحرين

وخلال شهر يناير من العام الجديد تشكلت حكومة جديدة في البحرين برئاسة

الشيخ خليفة بن سلمان وعين الشيخ محمد مبارك رئيساً للخارجية والدكتور حسين البحارنة مستشاراً قانونياً لمجلس الدولة الذي هو بمثابة مجلس الوزراء ، واستمرت في ذلك الوقت الاتصالات بين الكويت والبحرين حول المشكلة مع إيران ، كما أن بعض الحكومات العربية أحاطت علماً بما تم الاتفاق عليه من أجل حل هذا الموضوع .

وفي يوم الإثنين الموافق الثاني من مارس ١٩٧٠م قام الشيخ سعد العبد الله الصباح بزيارة رسمية وكنت من بين أعضاء الوفد المرافق له ، وكان على رأس المستقبلين في المطار سمو الشيخ عيسى بن سلمان وكبار رجال العائلة الحاكمة وكبار موظفي الحكومة وأعيان البلد ، وقد دل هذا الاستقبال الأخوي الحار على عمق العلاقات الأخوية القائمة بين البلدين الشقيقين .

وفي اليوم الثاني توجهت إلى دار الحكومة ، المقر الرسمي لمجلس الدولة فقابلت الشيخ خليفة بن سلمان في مكتبه ثم دخل علينا الشيخ محمد بن مبارك وقال لي : إن المعتمد البريطاني يسأل عنك ويود مقابلتك ، وأنه أخبره بموعد وصولي لدار الحكومة فقال المعتمد إنه قادم في الحال ، ثم انتقلت مع الشيخ محمد إلى مكتبه حيث وصل المعتمد وبدأ الحديث حول موضوع اتحاد الإمارات - سأتطرق لهذا الحديث في مناسبة أخرى إن شاء الله عندما يأتي موضوع الاتحاد - ، ثم انتقلنا إلى الحديث حول موضوع الساعة أي موضوع النزاع مع إيران فقال : إن المعلومات التي لديه هي أن إيران ستقدم بمذكرة حول الموضوع إلى الأمين العام للأمم المتحدة يوم ٩/٣/١٩٧٠م وأن البريطانيين سيقدّمون ردهم على المذكرة الإيرانية يوم ٢٠ منه وسيذيع المستريوثانت بيانه عن القضية يوم ٢٨ منه .

وفي اليوم الثالث للزيارة الموافق الأربعاء ٤/٣/١٩٧٠م تم عقد اجتماع في قصر الرفاع حضره عن البحرين سمو الشيخ عيسى بن سلمان والشيخ خليفة بن سلمان

والشيخ محمد بن مبارك والشيخ حمد بن عيسى ولي العهد وعن الجانب الكويتي الشيخ سعد العبد الله وأنا . وبدأ سمو الشيخ عيسى حديثه مبدياً ترحيبه الودي وسروره لهذه الزيارة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على قوة الترابط والتلاحم بين البحرين والكويت ، ثم أشاد بموقف الكويت البناء من قضايا البحرين وتضامنها الأخوي ، وشكر الشيخ سعد العبد الله على الكلمة التي ارتجلها في حفلة العشاء التي أقامها سمو الشيخ عيسى له وعن أثرها الطيب في أوساط الحاضرين والتي أعلن فيها الشيخ سعد أمام مجموعة من وجهاء البلد تأييد الكويت المطلق لحكومة البحرين وشعبه والوقوف إلى جانبه في شتى المجالات . ثم انتقل الحديث إلى النزاع مع إيران فقال الشيخ سعد إن سمو الأمير صباح السالم في أثناء لقائه بالرئيس جمال عبد الناصر في الرباط في أثناء انعقاد مؤتمر القمة قد أوضح له خلاصة ما وصلت إليه القضية في ذلك الوقت ، كذلك قال الشيخ سعد إنه في أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة وبعداد قد أشار إلى الموضوع مع المسؤولين باختصار ولهذا فإن الجو أصبح مناسباً لزيارة الوفد البحريني لتلك البلاد التي سيزورها الوفد البحريني وذلك من أجل التعاون مع الوفد ، وقد سر الجميع كثيراً لسماع هذه الأخبار الطيبة من الشيخ سعد وقوبلت هذه المبادرة بالشكر والتقدير .

وفي صباح يوم السبت ٧/٣/ ١٩٧٠م قمت بزيارة مجاملة للمقيم السياسي نظراً لمعرفتي السابقة به ، وجرى معه بحث مواضيع شتى ؛ من موضوع الاتحاد إلى قضية النزاع مع إيران الذي أصبح فيما يبدو في مراحل الأخيرة ، ثم ذهبت بعد ذلك إلى دار الحكومة حيث اجتمعت بالشيخ خليفة بن سلمان والشيخ محمد بن مبارك وأخبروني أن المعتمد البريطاني قادم إليهم بعد ريع ساعة ومعه بعض الموظفين البريطانيين المختصين بحفظ الأمن ، وذلك لوضع الترتيبات الأمنية اللازمة بمناسبة زيارة وفد الأمم المتحدة ، كذلك أخبرني الشيخ محمد بأنه سيسافر إلى جنيف في وقت قريب

للاجتماع بممثل الأمم المتحدة المستر ونسيير لاطلاعه على ترتيبات الأمن وغيرها التي ستتخذ بالبحرين استعداداً لوصول الوفد الذي تقرر في ٣٠ الجاري ، وطلب إلي كالعادة أن أكون مع الوفد البحريني المسافر إلى جنيف ، كما ذكر بأنه سيخبر السيد كمال أدهم مبعوث الملك فيصل الخاص عن طريق المكتب السعودي في البحرين ، وقد أبدت استعدادي كالعادة لمرافقة الوفد البحريني والتمست منه أن يتصل بالوزارة إذا تقرر السفر .

كان هذا اليوم هو موعد إنتهاء الزيارة والعودة إلى الكويت ، وفي الطريق إلى المطار كنت مع الشيخ محمد في السيارة فأخبرني بأن الإنجليز اقترحوا تعديلاً على المذكرة التي ستقدم إلى الأمين العام للأمم المتحدة رداً على المذكرة الإيرانية ، بدلاً من ذكر الفقرة «إن البحرين دولة عربية مستقلة» «Bahrain is a Sovereign Arab State» وهذا التعديل هو حذف كلمة عربية «Arab» والاكتفاء بذكر «أن البحرين دولة مستقلة» ، وربما جاء ذلك بضغط أو طلب من الجانب الإيراني ، وأن البحرين رفضت هذا التعديل وأصررت على إبقاء المذكرة كما هي .

فقلت له : حسناً عملتم ، وإني بدوري سأخبر المسؤولين في الكويت الذين حتماً سيرفضون بدورهم هذا التعديل ، وسيخبرون السفير البريطاني بذلك لينقل هذا الرفض إلى حكومته ، وعند وصولنا إلى المطار وجدنا الدكتور حسين البحارنة هناك مع بقية المودعين ، فوقفنا معه جانباً وأعدنا البحث في هذا الموضوع فكانت وجهة نظرنا منسجمة وهي رفض أي تعديل أو حذف في النص المشار إليه .

السفر إلى جنيف عن طريق لندن

يوم الأربعاء ١١ / ٣ / ١٩٧٠م اتصل بي هاتفياً السيد راشد الراشد وكيل وزارة الخارجية وأخبرني أن الشيخ محمد مبارك اتصل به من البحرين مخبراً عن عزمهم

السفر إلى لندن يوم الجمعة ١٣ / ٣ / ١٩٧٠م على الطائرة البريطانية التي ستمر بمطار الكويت ، وقد طلب الشيخ محمد إلى أن ألتحق بهم على نفس الطائرة .

وفي الوقت المقرر وصلت الطائرة إلى مطار الكويت وعند صعودي إليها وجدت الوفد البحريني المؤلف من الشيخ محمد بن مبارك رئيس دائرة الخارجية ، والدكتور حسين البحارنة عضو مجلس الدولة والدكتور علي فخرورئيس دائرة الصحة ، وعند وصولنا إلى لندن وجدنا في الاستقبال أحد موظفي وزارة الخارجية البريطانية الذي أطلع الشيخ محمد على برنامج الرحلة إلى جنيف .

قضينا يوم السبت في لندن وهو يوم عطلة ، وقد سألت عن الشيخ سالم الصباح سفيرنا في لندن فعلمت أنه يقوم بمهمة خارج البلاد ، وفي صباح الأحد سافرنا إلى جنيف ، وكان في المطار أحد موظفي البعثة البريطانية في جنيف والذي سلم الشيخ محمد مواعيد المقابلة مع المستر وينسيبر ممثل الأمم المتحدة والمرشح لتولي المهمة في البحرين ، وقد أخبرنا الشيخ بأن المستر وينسيبر سيقابل الوفد البحريني مساء .

وفي الساعة التاسعة مساء قابلت الوفد البحريني وكانت علامات السرور والتفاؤل بادية على الجميع ، وقد قرأ علينا الشيخ محمد مضمون رسالة المستر يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة بتاريخ ٩ / ٣ / ١٩٧٠م والموجهة إلى المندوب البريطاني في الأمم المتحدة والتي يخبره فيها عن استلامه في ذلك اليوم مذكرة الحكومة الإيرانية حول موضوع البحرين وأن الرد البريطاني على المذكرة المشار إليها سيقدم في ٢٠ / ٣ / ١٩٧٠م ، كذلك أخبرنا الشيخ محمد بأن الجانب البريطاني أبقى على النص «إن البحرين دولة عربية مستقلة» ولكنهم حذفوا عبارة جاءت في النص وهي «لا شك» «No Doubt» فجاءت الجملة كالآتي :

“Bahrain is aSoverein Arab State with Special Treaty of Relationship with The United Kingdom”.

وترجمتها : «البحرين دولة عربية مستقلة مع الارتباط بمعاهدة خاصة مع المملكة المتحدة» .

كذلك أفاد الشيخ محمد بأن الوفد البحريني عرض على مندوب الأمم المتحدة ثلاثة أماكن لإقامة بعثة الأمم المتحدة وهي :

(١) قصر الرفاع .

(٢) بيت السيد محمد جلال وهو أحد تجار البحرين المعروفين ومن المقربين عند سمو الشيخ عيسى .

(٣) فندق الخليج .

وقد وقع الاختيار على فندق الخليج ، علماً بأن السلطات البحرينية لم تكن تحبذ هذا الاختيار وذلك لأسباب أمنية ، ولكن الظاهر أن وفد الأمم المتحدة فضل هذا الاختيار لإثبات ابتعاده عن كل ما له مساس بالأوضاع المحلية ، وذلك من أجل إظهار الطابع الحيادي للبعثة .

كذلك بحث وفد البحرين مع مبعوث الأمم المتحدة المقترح قضايا الأمن وكيفية الاتصال بالمواطنين ، وقال الشيخ محمد إنهم قدموا للمندوب قائمة بأسماء حوالي تسعين مؤسسة قائمة في البحرين من نواد رياضية وثقافية حتى جمعية الفنانين كان اسمها في القائمة ، وقد أظهر المندوب رغبة خاصة في مقابلة أكبر عدد من المواطنين ، وأن تكون مواعيد المقابلة من الساعة التاسعة صباحاً حتى الواحدة بعد الظهر ومن الساعة الخامسة بعد الظهر حتى الساعة مساء ، ووضح أنه سيصل إلى البحرين يوم ٣٠/٣/١٩٧٠م على طائرة B.O.A.C. القادمة من لندن وأن مدة إقامته في البحرين ستكون في حدود ثلاثة أسابيع ، وأنه سيقابل سمو الشيخ عيسى في اليوم الثاني من وصوله ، وسيكون مع المندوب خمسة أشخاص من جنسيات مختلفة لمساعدته في

مهمته وهم فرنسي ، صيني ، ماليزي ، دغماركي ، ثم عربي سيتولى مهمة الترجمة ويحمل الجنسية الأردنية ، ويعمل موظفاً في مكتب الأمم المتحدة بجنيف ، وستخصص للوفد سيارتان حال وصوله تحملان إشارات الأمم المتحدة وعلمها .

كما ذكر الشيخ محمد أنهم أثاروا مع المستر وينسبير موضوع قيام مظاهرات أو شغب أثناء وجوده ، فرد المبعوث قائلاً إنه سيقى في البحرين حتى انتهاء مهمته على الوجه الأكمل ، فإذا قامت مظاهرة أو شيء من ذلك فسيطلب مندوبين عن أولئك المتظاهرين ليتعرف مطالبهم وأهدافهم .

هذا خلاصة ما ذكره الشيخ محمد بن مبارك عن اجتماع مبعوث الأمم المتحدة بالوفد البحريني ، وقال الشيخ محمد إنهم سيقومون بزيارة للقاهرة وبغداد في ٢٣ / ٣ / ١٩٧٠م لإحاطة البلدين علماً بما تم التوصل إليه .

وفي اليوم الثاني الموافق ١٦ / ٣ / ١٩٧٠م غادر الوفد البحريني جنيف متوجهاً إلى لندن في جو يسوده التفاؤل والثقة بالنفس والأمل في مستقبل أفضل ، وكنا في وداعهم بالمطار ، السفير علي زكريا الأنصاري رئيس البعثة الكويتية في جنيف وأنا ، وكان هذا اللقاء خاتمة لعدة لقاءات واتصالات دامت حوالي ثمانية عشر شهراً كما تقدم ذكره ، قضيناها بين الكويت والبحرين وطهران ولندن وجنيف ومونترو ، عشنا خلالها فترات حرجة في بداية المفاوضات كانت خلالها الأعصاب مشدودة والأمور تجري بين مد وجزر وأمل ويأس ، ولكن شعورنا جميعاً بأننا كنا نطالب وندافع عن قضية عادلة ، هي قضية بلد عربي شقيق يريد التخلص بالطرق المشروعة من خلاف وصراع مع بلد قوي بنى مطالبته على حجج واهية تتجاهل وضع هذا البلد العربي الأصيل منذ أقدم العصور .

وقد كان أملنا في البداية أن يكون الخلاص في ولادة دولة الاتحاد لإمارات الخليج

العربي التسع التي هي البحرين وقطر وإمارات الساحل السبع ، ولكن تهديد الحكومة الإيرانية بأنها ستقاوم مشروع أي اتحاد تدخل فيه البحرين قبل حل المشكلة مع إيران كما أبلغنا المفاوض الإيراني بذلك وكذلك ما تم تبليغه للإمارات من قبل الحكومة الإيرانية حال دون ذلك .

كذلك أود أن أضيف أن بعض الإمارات أعلنت سراً أنها تريد ألا يشمل الاتحاد دولة البحرين تجنباً للتهديدات الإيرانية ، ولكن مع الصبر والمثابرة والحرص على السرية التامة بدأت الأمور تتجه نحو الأفضل كما مر من سير المفاوضات .

وهنا أود أن أظهر حقيقة أدر كناها من خلال المفاوضات الطويلة المضنية وهي أن رجال الدولة الكبار في الحكومة الإيرانية وعلى رأسهم الشاه كانوا مدركين لضعف حججهم في مطالبتهم بضم بلد عربي يعتز بعرويته وكرامته وبكيانه المستقل ، وهذا مما سهل من مهمة المفاوضات علماً بأننا أدر كنا أن نسبة كبيرة من الشعب الإيراني كانت متأثرة بفكرة ضم البحرين ، هذا مع وجود أقلية متطرفة كما سبق أن ذكرت تعتقد أن الخليج هو بحيرة فارسية ، وكان لتلك الأقلية المتطرفة خمسة نواب في البرلمان الإيراني كما سبق أن ذكرت في حديثي مع وزير الخارجية أردشير زاهدي في أول لقاء جرى معه .

ومع كل هذه العقبات فقد سارت الأمور كما ذكرت في مجراها الصحيح بسبب الأسلوب الهادئ الرصين من جميع الأطراف .

كذلك لا بد من الإشادة في هذا المقام بدور الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية رحمه الله في التأثير على الشاه من أجل الإسراع في حل هذه المشكلة .

وأود أن أذكر بهذه المناسبة أنه عندما زارت بعثة الجامعة العربية المملكة العربية

السعودية عند انتهاء جولتها في إمارات الخليج كما سبق أن ذكرت في الفصل الأول من هذا الكتاب عن رحلة البعثة حيث أنه عند لقائنا بالملك فيصل رحمه الله بعد مرور يوم على توليه السلطة وبدأنا الحديث مع جلالته بالتهنئة ، ثم تشعب الحديث إلى موضوع المطامع الإيرانية في الخليج لاسيما البحرين أجاب الملك فيصل قائلاً : لقد قلت للشاه صراحة في أحد لقاءاتي معه : إذا فكرت يوماً في احتلال البحرين فإنك ستجد الجيش السعودي قد سبقك إلى هناك .

كذلك من الإنصاف الإشارة إلى موقف بريطانيا في مساعدتها القيمة في هذه المعضلة المستعصية ، فقد جندت كبار موظفيها المختصين بالمنطقة سواء من كان منهم في وزارة الخارجية أو هناك في المنطقة ، كذلك موقف مندوب بريطانيا المخضرم في الأمم المتحدة اللورد كرادون ذي الخبرة والكفاءة الذي قام بدور فعال في توضيح وضع البحرين الحقيقي لكبار موظفي مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وعلى رأسهم الأمين العام يوثانت مما سهل تفهمهم لعدم شرعية المطالبة الإيرانية .

ولاشك أن الذي سيبحث في وثائق الخارجية البريطانية ووزارة خارجية إيران التي غطت حوادث تلك الفترة التي أشرت إليها والتي دامت حوالي سنة ونصف سيجد فيها أشياء كثيرة مثيرة لاغنى عنها لمن يريد المزيد عن كل ما دار وجرى في تلك الفترة التاريخية والمصيرية الهامة .

وهكذا تمر الأيام ويأتي يوم ٢٩ من مارس عام ١٩٧٠م حيث تعلن الأمم المتحدة عن قبولها التوسط بين البحرين وإيران ، ثم يصل مندوبها المستر وينسيير في اليوم التالي إلى البحرين أي في الثلاثين منه .

عند هذا الحد انتهت مهمة الوفد الكويتي التي دامت قرابة ثمانية عشر شهراً والتي أدى من خلالها المهمة التي أوكلت إليه بأمانة وإخلاص وصبر وصمت ،

وسيدكر التاريخ للكويت هذا الموقف الذي لم يكن سهلاً ولا يسيراً في مهمة الجمع بين طرفين أحدهما شقيق عزيز تربطه أواصر القربى والمصير المشترك ، والآخر جار قوي متنفذ وراه شعب تشبع بأفكار وآراء خاطئة على مر السنين أوحت إليه بها حكوماته المتعاقبة ، وأن له حقاً لا بد من الاستمرار في المطالبة به .

ولكن ذلك الجار وثق بالكويت وارتضى بأن تكون هي الوسيط من أجل التوصل إلى حل يرضي الجميع ويحفظ ماء الوجه ، وكان في البداية كما ذكرت منذ مطلع عام ١٩٦٨م عندما زار صاحب السمو الشيخ صباح السالم رحمه الله إيران وما لقيه من حفاوة وتكريم هناك ، ثم زيارة معالي الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية إلى طهران في أوائل شهر آب (أغسطس) في ذلك العام بناء على دعوة من وزير الخارجية أردشير زاهدي ، وما دار بين الوزيرين من حوار حول موضوع البحرين إلى آخر ما ذكر من تفاصيل .

كذلك أود قبل الانتهاء من شرح هذه الأحداث المثيرة أن أشيد بما قام به زميلي الشيخ ناصر محمد الأحمد سفير الكويت في طهران خلال تلك الفترة من مهمات نافعة ومهمة ساعدت كثيراً في اختصار الوقت وتقريب وجهات النظر بشخصيته الجذابة التي هيأت له مكانة خاصة زادت من منزلته عند كبار المسؤولين في إيران ، بالإضافة إلى كونه أحد أعضاء الوفد الكويتي ، وبذلك يكون قد مثل بلاده أحسن تمثيل .

وأود أيضاً أن أشير إلى دور الدكتور فؤاد حمزة رحمه الله حيث استعان الوفد بخبراته القانونية ونصائحه المفيدة .

وأخيراً وليس آخراً إخواننا في البحرين الذين وضعوا ثقتهم الغالية فينا حيث كان لتعاونهم وتفاهمهم معنا وإطلاعنا على مجريات الأمور عندهم أولاً فأولاً من أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح المهمة متوجة بالثقة الغالية التي أولانا إياها حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حفظه الله .

تواريخ مهمة

- في ٩ من مارس ١٩٧٠م تلقى الأمين العام رسالة من مندوب إيران في الأمم المتحدة يطلب إليه بذل مساعيه للتعرف على رغبات شعب البحرين .
- في ٢٠ من مارس ١٩٧٠م تقدمت بريطانيا بمذكراتها للأمين العام للأمم المتحدة .
- في ٢٩ من مارس ١٩٧٠م مجلس الدولة يوجه بياناً هاماً إلى الشعب البحريني شارحاً التطورات التي جرت .
- في ٣٠ من مارس ١٩٧٠م يوثانث يعلن عن مشروع الوساطة .
- في ٣ من مارس ١٩٧٠م وزير خارجية إيران يلقي بياناً في البرلمان يشرح فيه الأسباب والمبررات التي دعت الحكومة الإيرانية إلى ترك موضوع البحرين بيد الأمم المتحدة .
- في ٣٠ من مارس ١٩٧٠م يصل وسيط الأمم المتحدة المستر وينسبير إلى البحرين .
- في ٣١ من مارس ١٩٧٠م يصل باقي أعضاء بعثة تقصي الحقائق إلى البحرين وتقضي ١٨ يوماً تتصل خلالها بمعظم الفعاليات من نواد ثقافية ورياضية وتجار وكذلك بمختلف الهيئات الدينية .
- في ٣٠ من ابريل ١٩٧٠م يقدم مندوب الأمم المتحدة المستر وينسبير تقريره إلى الأمين العام للأمم المتحدة يوثانث U. Thant.
- في ١١ من مايو ١٩٧٠م يصدق مجلس الأمن على تقرير الممثل الشخصي للأمين العام الذي أكد فيه على أن غالبية الشعب البحريني الساحقة ترغب في الاستقلال في ظل دولة ذات سيادة .
- ١٤ أغسطس -آب- ١٩٧١م إنهاء معاهدة الحماية البريطانية وإعلان استقلال دولة البحرين .

نبذة مختصرة

عن البحرين ماضياً وحاضراً

كان اسم البحرين يطلق في الماضي على المنطقة الممتدة من شمال الخليج حتى سواحل عمان ، وهي تشمل الكويت والأحساء وجزر البحرين - التي كانت تسمى أوال وشبه جزيرة قطر .

وفي هذا البحث الموجز فالمقصود هو جزر البحرين ، وقد دلت الحفريات في هذه الجزر على وجود آثار تدل على وجود الإنسان الحجري ، كذلك فالقبور القديمة التي اكتشفت في البحرين تدل على آثار للإنسان في العصر البرونزي .

كذلك الحضارة الدلمونية التي ظهرت في المنطقة في الألف الثالث قبل الميلاد فلا بد وأنها شملت جزر البحرين ، حيث وجدت البعثة الدنماركية التي قامت بالحفريات في جزيرة فيلكا عام ١٩٥٨ أختاماً مشابهة لتلك التي وجدت في البحرين مما يدل على اشتراك المنطقة في حضارة موحدة متجانسة منذ أقدم العصور .

نتقل بعد هذا إلى تاريخ البحرين في العصر الجاهلي العربي حيث كانت تسكن قبائل عربية منها عبد القيس وبكر بن وائل وتميم والأزد الذين رحلوا إلى المنطقة من اليمن بعد انهيار سد مأرب .

وكانت البحرين منطقة جذب متميزة لوفرة مياهها وخصوبة أرضها وغنى شواطئها بمغاصات اللؤلؤ ، ولهذا فقد كانت البلاد هدفاً للغزاة والطامعين والمغامرين .

ومن أبناء البحرين في العصر الجاهلي العربي الشاعر الشاب طرفة بن العبد المتمي إلى قبيلة بكر بن وائل المشهورة الذي اشتهر بمعلقته التي مطلعها :

لخولة أطلال ببرقة نهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

إلى أن يقول في نظرتة الفلسفية :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقصة هذا الشاعر الشاب مع ملك الحيرة عمرو بن هند التي انتهت بمقتله وهو في أوج شبابه معروفة .

وفي عصر الإسلام أرسل النبي ﷺ الصحابي العلاء الحضرمي رضي الله عنه في العام السادس للهجرة لدعوة أهل البحرين وباقي المنطقة للدخول في الإسلام ، وقد استجاب أهل البحرين وأهل عمان للدعوة ودخلوا في دين الله أفواجاً .

وبعد وفاة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه جاء عصر الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم ، وعلى أثر الفتنة التي قامت في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونتائجها المحزنة التي أدت إلى انقسام المسلمين بعد معركة صفين وظهور بعض الفرق الإسلامية المنشقة وأهمها فرقة الخوارج الذين اشتهروا بالتطرف وقوة المراس ، فقد تعرضت جزر البحرين لغزواتهم كما تعرضت بعد ذلك في القرن الثالث الهجري لغزو القرامطة .

ثم جاء بعدهم العيونيون في القرن الخامس الهجري وهم من القبائل العربية واحتلوا البلاد ، وبعدهم جاء العصفوريون ، وبعد العصفوريين جاء الجبور نسبة إلى زعيمهم جبر بن حسين ، وكل هؤلاء من القبائل العربية التي جاءت من شبه جزيرة العرب ، ومع هذا فقد كانت البحرين منذ بداية الفتح الإسلامي تخضع للسلطة المركزية الإسلامية التي أصبحت اسمية في أواخر عهد الخلافة العباسية .

وبقي الحال كذلك حتى جاء الزحف التتري في القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي - حيث قضى على الخلافة العباسية في بغداد .

إلا أن البحرين ونقصد بذلك جزر البحرين ظلت تحكم بواسطة أمراء عرب حتى الغزو البرتغالي للخليج ما بين عامي ١٥٢٢ إلى ١٦٠٢ م .

ثم بعد انحسار الغزو البرتغالي من الخليج ، تعرضت المنطقة لموجة من الغزو الغربي الهولندي والفرنسي ثم البريطاني ، وقد جاء هذا نتيجة للنهضة الصناعية التي شملت تلك البلاد للسيطرة والرغبة في إيجاد مناطق نفوذ من أجل تنشيط المبادلات التجارية .

وقد خضعت البحرين في تلك الأيام لاسيما بعد هزيمة البرتغاليين للنفوذ الفارسي ، وكما أشرنا سابقاً فإن خيرات جزر البحرين كانت تغري الأقوياء بفرض الإتاوات على حكامها المحليين ، وكان حاكم شيراز بسبب قربه النسبي من مياه الخليج يفرض سيطرته على ميناء بوشهر الذي تسكنه في تلك الأيام نسبة كبيرة من القبائل العربية ، كما كان ذلك في ميناء بندر ريق وجزيرة خارج وأماكن أخرى من السواحل الفارسية المطلّة على الخليج ، كما تشهد بذلك الوقائع التاريخية وتقارير الرواد الأجانب أمثال الرحالة الدنماركي الألماني المولد كارستن نيبور ، وقد استطاع حاكم شيراز عن طريق بعض المتنفذين العرب في بلاد فارس أن يفرض نفوذه على جزر البحرين لفترات متقطعة دامت قرابة مائة وثمانين عاماً ، أي منذ رحيل البرتغاليين ، والتي ساهمت القوات الفارسية والعربية في طردهم ، ثم جاءت هزيمة حاكمها الشيخ نصر بن المذكور المعين من قبل حاكم شيراز على جزر البحرين في عام ١٧٨٣م على يد شيخ الزبارة العتبي أحمد بن محمد الخليفة ، كذلك لا بد من الإشارة إلى أن الشيخ نصر بن المذكور كان يحكم باسم حاكم شيراز مدينة بوشهر أيضاً .

وخلاصة ما جرى هو أنه حدث خلاف وعراك بين رجال آل خليفة الذين كانوا يترددون على جزر البحرين للتجارة بسبب قربها من مدينة الزبارة الواقعة في الشمال الغربي من شبه جزيرة قطر والتي كانت مقراً لآل خليفة من ناحية ، وأتباعهم

وحلفائهم من القبائل العربية هناك من ناحية أخرى ، وقد نتج عن هذا الخلاف أو العراك مقتل ثلاثة أو أربعة من البحرينيين ، الأمر الذي أغضب شيخها نصر بن مذكور وهو عربي ينتمي إلى قبيلة المطاريش من عمان ، فقرر الانتقام والأخذ بالثأر ، وهي عادة غير مستغربة في تلك الأيام .

وهناك سبب آخر يقال إنه ساعد على القرار الذي اتخذته الشيخ نصر بن مذكور ، وربما كان ذلك بتأييد حاكم مدينة شيراز ومباركته ، فمنذ الحصار الفارسي لمدينة البصرة في أوائل عام ١٧٧٥م ثم احتلالها ما بين عام ١٧٧٦ - ١٧٧٩م انتقل النشاط التجاري بطبيعة الحال من البصرة إلى الكويت والزبارة ، كما هاجر إلى البلدين بعض التجار وأثرياء المدينة مما ضاعف النشاط التجاري وزيادة الثروة في البلدين ، ولا شك أن مثل هذا الانتعاش يغري الطامعين والمغامرين ، وربما كان ذلك أحد الأسباب التي دعت القوات الكعبية البحرية إلى مهاجمة الأسطول الكويتي في موقعة الرقة المشهورة التي انتهت بهزيمة أسطول بني كعب في أواخر عام ١٧٧٩م .

نصر بن مذكور ينزل قواته البحرية بالقرب من الزبارة

أنزل الشيخ نصر بن مذكور قواته المحمولة بحراً بالقرب من سواحل الزبارة وبدأ زحفه نحو المدينة المسورة ، ونزل العتوب من آل خليفة وأنصارهم إلى أرض المعركة ومنهم آل بن علي وآل مسلم والسودان وبوعيينين من الذين أخذتهم الحمية للانتصار لأخوانهم ، واشتد وطيس المعركة وبدأت القوات الغازية بالتقهقر إلى سفنها طالبة النجاة .

وتقول المصادر البريطانية ومنها تقارير شركة الهند الشرقية إن الأسطول الكويتي الذي شعر بالثقة بعد انتصاره في معركة الرقة ، والذي كان يتألف من ست قطع كبيرة وبعض القطع الصغيرة ، سمع عن المعركة ولكن بعد انتهائها وهروب الشيخ نصر إلى بوشهر ربما لطلب النجدة والمدد من حاكم شيراز ، فقطع خط الرجعة عليه ، ثم توجه

الأسطول الكويتي إلى البحرين وهاجم بعض القلاع هناك وأشعل النار فيها ، وكان موقفه حاسماً كما تذكر التقارير البريطانية في إنهاء المعركة وإفشال محاولة نصر بن مذكور في العودة إلى القتال .

وعلى أثر هزيمة الشيخ نصر احتل الشيخ أحمد بن محمد الخليفة جزر البحرين وبذلك سمي أحمد الفاتح .

وكان أول عمل قام به هو إرسال عائلة الشيخ نصر واتباعه إلى بو شهر دون أن يتعرضوا لأي أذى أو إهانة ، وكان ذلك عام ١١٩٧هـ الموافق ١٧٨٣م .

مراجع البحث

- (١) البحرين عبر التاريخ (الجزء الأول) تأليف الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وعبد الله يوسف الحمير، ١٩٧٠، ص ٩١ .
- (٢) مجلة الوثيقة - مركز الوثائق بدولة البحرين - ، الأعداد ١، ٢، ٣ .
- (٣) دليل welcome to Bahrain الطبعة السادسة، ١٩٦٨م، ص ١٠٤ .
- (٤) التحفة النبهاانية في تاريخ الجزيرة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٢هـ ، ص ١٢٦ .
- (٥) محاضرة الدكتور حسين محمد البحارنة في نادي الخريجين بالبحرين في ١٢ من مارس ١٩٦٩ م .
- (٦) تاريخ الكويت (الجزء الأول - القسم الأول) تأليف الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة - إشراف لجنة تاريخ الكويت ، ص ١٩٤ و ص ١٩٥ .